

الحسد والعين من المنظور الاجتماعي مع التطبيق على الثقافة العربية

عبد الرحمن بن محمد عسيري*

ملخص

تناولت هذه الدراسة ظاهري الحسد والعين في المجتمع الإنساني ، فقد تناولت تحديد مفهوم كل من الظاهرتين ، والفرق بينهما ، زيادة على الفرق بين كل منهما وبين الغيرة . وقد ركزت على تحليل هاتين الظاهرتين (الحسد والعين) من المنظور الاجتماعي . إذ تم استعراض هاتين الظاهرتين في العديد من الثقافات الإنسانية ، وبخاصة الثقافة العربية والأفريقية ، والغربية ، وثقافة دول البحر الأبيض المتوسط، وذلك لإبراز عالمية الظاهرة ومدى شيوعها في المجتمع الإنساني.

تم بعد ذلك التركيز على هاتين الظاهرتين في الثقافة العربية، إذ تم تحديد مفهوم كل منهما في الثقافة العربية ، والخصائص والأبعاد المرتبطة بكل منهما كما تم استعراض الوسائل المستخدمة في الثقافة العربية للتعامل مع هاتين الظاهرتين سواء للوقاية أو العلاج وأخيراً تمت مناقشة الآثار المترتبة عليهما في الثقافة العربية ومدى تأثيرها في الكثير من الجوانب في حياة الإنسان العربي.

Abstract

This study explains and defines two human phenomena: envy and the Evil Eye. A special emphasis has been placed on distinguishing these phenomena from the concept of jealousy. Using examples from different societies in Africa, South America and the Mediterranean, this study suggests that the practices and beliefs associated with envy and the Evil Eye not only exist in Arab societies, but all across the world.

At the same time, the main goal of this paper is to clarify the socio-cultural aspects of envy and the Evil Eye in Arab culture, exploring and discussing them from the sociological point of view. The methods of treating and protecting against envy and the Evil Eye in Arab culture will also be discussed. Finally, this study will examine the substantive effects of these phenomena on the everyday life of people in Arab societies.

* قسم علم الاجتماع، جامعة الإمام، السعودية.

تاريخ قبول البحث: ٢٣ / ١٠ / ٢٠٠٢.

تاريخ تقديم البحث: ٥ / ١٢ / ٢٠٠١.

مقدمة:

الحسد والعين من الظواهر الاجتماعية المنتشرة في معظم الثقافات الإنسانية، فقل أن يخلو منهما مجتمع من المجتمعات في مختلف العصور، فهما قديمان قدم الإنسانية ذاتهما. بل إن الحسد موجود قبل بداية المجتمع الإنساني وما قصة إبليس وأبينا آدم عليه السلام إلا مثال لبداية الحسد في النفس المخلوقة.

ويروي لنا القصص القرآني العديد من القصص الدالة على وجوده في المجتمعات الغابرة، كقصة هابيل وقابيل، وقصة أبناء يعقوب عليه السلام. بل إن القرآن يشير إلى الحسد كأمر ملموس ومحسوس في الطبيعة البشرية في أكثر من موضع. فقد ورد ذكر الحسد في القرآن صراحة في عدة مواضع مرة بلفظ (حسداً) قال تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم). (البقرة ١٠٩) ومرة بلفظ (يحسدون) قال تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله). (النساء ٥٤) ومرة بلفظ تحسدونا قال تعالى: (فسيقولون بل تحسدونا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً) (الفتح ١٥) ومرة بلفظي حاسد، وحسد قال تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد). (الفلق ٥).

كما أشار صلى الله عليه وسلم إلى الحسد صراحة في أكثر من موضع، وغالباً ما يشير إلى الحسد كشيء مختلف عن العين "يقول صلى الله عليه وسلم " لا عدوى، ولا طيرة، ولا حسد، العين حق " رواه أحمد . ولا هنا للنهي وليس للنفي.

كما قال صلى الله عليه وسلم: " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب " . رواه أبو داود.

وقال صلى الله عليه وسلم: " سيصيب أمتي داء الأمم قالوا : يا نبي الله وما داء الأمم قال : الأشهر، والبطر، والتكاثر، والتنافس في الدنيا، والتباغض، والتحاسد حتى يكون البغسي ثم الهرج. أخرجه الحاكم.

وكما أن الحسد حق، فإن العين حق أيضاً أثبتتها الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من مرة، وقرأها صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع، قال صلى الله عليه وسلم: "لا شيء في الهام، والعين حق" رواه أحمد عن حابس التميمي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: " العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا " . رواه أحمد ومسلم والحكيم والترمذي وابن حبان.

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم عوذ الحسن والحسين من العين، فكان يقول " أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام " . كما ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين الحسد والعين في بعض المواضع، إشارة إلى أن

العين تكون نتيجة للحسد، قال صلى الله عليه وسلم: " إن العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم ".

كما أشار صلى الله عليه وسلم إلى خطورة العين قال صلى الله عليه وسلم: " اتقوا سم الأعين فإن العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر ". رواه البخاري ومسلم.

كما ثبتت العين بالشواهد اليومية التي تحدث في المجتمع في مختلف العصور. ففي زمن النبي صلى الله عليه وسلم، مر عامر ابن أبي ربيعة بسهل وهو يغتسل فقال: " لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة " وكان سعد ابن سهل أبيض البشرة فما لبث سهل أن سقط وصرع فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من تهمون به قالوا: عامر بن ربيعة، قال صلى الله عليه وسلم: علام يقتل أحدكم أخاه إذا رأى أحدكم ما يعجبه فليدع له بالبركة ثم دعا عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخله إزاره ثم أمر أن يصب الماء على سهل.

وبالرغم من وضوح هاتين الظاهرتين فإنه غالباً ما يلتبس على بعض الناس بين مفهوم كل منهما أو خلط بعضهما ببعض الآخر ليس ذلك في الثقافة العربية فحسب، بل في العديد من الثقافات الأخرى، إذ يخلط غالباً بين ثلاثة مفاهيم مختلفة هي: الحسد (Envy) والغيرة (jealousy) والعين (Evil Eye) وذلك لتداخل هذه المفاهيم الثلاثة فيما بينها وعدم وضوح الفروق الدقيقة بينها في بعض الأحيان. ولذا ستناقش هذه الدراسة بادئ ذي بدء تحديد الفروق بين كل من هذه المفاهيم الثلاثة، وأوجه الالتقاء والاختلاف بينها. ثم سيتم بعد ذلك التركيز على (الحسد والعين) ومناقشة هذين المفهومين من المنظور الاجتماعي، والخصائص والأبعاد المرتبطة بهما. وأخيراً سيتم استعراض الأساليب والطرق المستخدمة في الثقافة العربية للوقاية والعلاج من العين، والحسد. وكذلك الآثار الاجتماعية المترتبة عليهما في المجتمع.

أهمية الدراسة

تتمثل الأهمية العلمية لهذه الدراسة في كونها من الدراسات الأولية التي اهتمت باستجلاء هذه الظاهرة في الثقافة العربية وخاصة في الكتابات الاجتماعية والنفسية العربية. حيث إن الكتابات العربية التي ناقشت هذه الظاهرة في المجتمع العربي، تعد شبه معدومة. حتى الكتابات النفسية والطبية التي تناولت هذه الظاهرة في الثقافة العربية يلاحظ أنها كتبت باللغة الإنجليزية، أو بعض اللغات الأخرى. وعليه فإن النقص الشديد في الكتابات العربية التي تناولت الظاهرة، قد ولد بعض القصور في التحمس لتناول الظاهرة من الباحثين الاجتماعيين والنفسيين العرب. وعليه تبرز الأهمية العلمية لهذه الدراسة في أنها من الدراسات التأسيسية لهذه الظاهرة في الكتابات الاجتماعية العربية. ولذا فقد حاولت هذه الدراسة عدم الاكتفاء بالجانب

الأنثروبولوجي الوصفي للظاهرة في المجتمع العربي، بل وضع بعض الأسس النظرية، لهذه الظاهرة في أمل أن تكون مجالاً للنقاش العلمي من قبل دراسات أخرى.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الأهداف التالية:

- ١- تحديد كل من مفهومي الحسد والعين، من المنظور الاجتماعي.
- ٢- تحديد الخصائص المرتبطة بكل من الحسد والعين.
- ٣- تحديد الدوافع المرتبطة بالحسد والعين.
- ٤- عرض الأساليب والطرق المستخدمة في الثقافة العربية للوقاية منهما.
- ٥- مناقشة الآثار الاجتماعية المترتبة عليهما في المجتمع، وتأثيرهما في الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي.

تساؤلات الدراسة

- ١- ما الخصائص المرتبطة بكل من الحسد والعين؟
- ٢- ما دوافع الحسد والعين في الثقافات العربية؟
- ٣- ما الوسائل والطرق المستخدمة في الثقافة العربية للوقاية والعلاج من العين والحسد؟
- ٤- ما الآثار الاجتماعية المترتبة على الحسد والعين في الثقافة العربية؟

الإجراءات المنهجية للدراسة

اعتمدت هذه الدراسة بشكل رئيس على المقابلات المتعمقة التي أجريت مع مجموعة من الإخباريين من مختلف الأقطار العربية من المقيمين في مدينة لانسنج متشجن بالولايات المتحدة الأمريكية، (Lansing , Michigan)، إذ إن ولاية متشجن الأمريكية تعد من أكثر الولايات التي تشتمل على جالية كبيرة من العرب من مختلف الأقطار. مما أتاح فرصة مقابلة أعداداً كبيرة من أبناء الجالية من مختلف الطبقات الاجتماعية، والاقتصادية سواء من المهاجرين أم من المقيمين بصفة مؤقتة للدراسة أو بعض الأسباب الأخرى.

وقد تم بادئ ذي بدء عقد مجموعة من المقابلات المتعمقة مع مجموعة من الإخباريين من كل جنسية بشكل جماعي تم بعد ذلك تم تحديد الأشخاص المناسبين من كل جنسية ليكونوا إخباريين. إذ تم اختيار الأشخاص الذين اتضح أن لديهم معلومات واسعة عن موضوع الدراسة، كما يتصفون بالتقائية في الحديث. فقد لوحظ أن بعض الإخباريين بالرغم من معلوماتهم الجيدة بالموضوع إلا أنهم يتحفظون كثيراً

عن الحديث أو يحاولون تقييم كل ما يقولون من الوجهة الشرعية، مما يجعلهم يتحفظون عن ذكر أي شيء في منطقتهم يرون انه يتعارض مع الشريعة. كما تم استبعاد الأشخاص الذين لم يعيشوا في بلدانهم الأصلية لفترة طويلة من حياتهم، وذلك لضعف معلوماتهم الثقافية عن عادات وتقاليد مجتمعاتهم. كما تم أيضاً استبعاد الأشخاص الذين اتضح أنهم لا يسندون معلوماتهم إلى ذاتهم وإنما يقولون (سمعنا) إذ أن مثل هؤلاء الإخباريين اتضح أن معلوماتهم لم تبين على مشاهدات شخصية، وإنما على ما سمعوه من أسرهم وأصدقائهم.

وبعد أن تم تحديد الإخباريين من كل جنسية تم الاتفاق على موعد محدد مع كل منهم، فقد تم تسجيل المقابلات يدوياً وصوتياً، ثم بعد ذلك تم تفرغ البيانات وفقاً لقواعد الدراسات الكيفية. بعد أن تم جمع كافة البيانات من جميع الإخباريين تم تفرغ وتصنيف البيانات وتبويبها. وقد تم أثناء تصنيف البيانات دمج كافة الأساليب المتشابهة في الأقطار العربية تحت مسمى واحد مثل الغسل، البخور، الدم، وما شابه ذلك ومن ثم تم استعراض كافة الأساليب والطرق المندرجة تحت كل أسلوب. وذلك لأن هدف هذه الدراسة إبراز تلك، الأساليب والطرق المرتبطة بالظاهرة موضوع الدراسة في الثقافة العربية بشكل عام وليس في قطر عربي محدد.

وقد تم مقارنة بعض تلك الأساليب والطرق التي وجدت في الأقطار العربية مع ما هو موجود في ثقافات أخرى مثل الثقافات الغربية أو الأفريقية، أو بعض بلدان البحر الأبيض المتوسط، وذلك لإيضاح عالمية الظاهرة وتقارب الطرق والأساليب الإنسانية المتبعة للتعامل مع هذه الظاهرة.

الحسد، والعين في المنظور الاجتماعي

بالرغم من أن الحسد والعين من الظواهر الشائعة في معظم المجتمعات الإنسانية إلا أنها لم تحظَ بنصيب وافر من البحث والتحليل من الناحية الاجتماعية أو النفسية، وخاصة في المجتمعات العربية. ففي الثقافة العربية يلاحظ أن معظم الكتابات التي تناولت هاتين الظاهرتين تركز على تناولهما من الناحية الدينية وليس من الناحية الاجتماعية. مع بعض الاستثناءات البسيطة لبعض الدراسات الطبية التي تناولت هذه الظاهرة في المجتمع العربي كأحد المعوقات الرئيسة في الإقبال على الاستطباب وفقاً للطرق الحديثة، إلا هذه الدراسات أيضاً لم تكتب العربية وإنما كتبت باللغة الإنجليزية. ولا يقتصر النقص في الكتابات الاجتماعية عن هاتين الظاهرتين على اللغة العربية بل يمتد إلى اللغات الأخرى ففي المجتمعات الغربية يؤكد كل من آن وباري (Ann & Barry, 1983) إلى الحقيقة ذاتها حيث يريان انه بالرغم من أن الحسد من الظواهر الشائعة والمعروفة في المجتمع الإنساني، إلا أن هناك القليل من الكتابات عن هذا الموضوع. ويرجعاً

أسباب الصمت العلمي عن هذه الظاهرة إلى محاولة الكثير منا إنكار شعوره بهذه الظاهرة أو الاحساس بها.

ويعد ما قام به هلمت (Helmut,1966) من أقدم المحاولات النظرية الجادة التي تناولت ظاهرة الحسد في المجتمع الإنساني بالبحث والتحليل، إذ يؤكد في دراسته على أن موضوع الحسد من المواضيع المهمة علمياً من الناحية الاجتماعية والنفسية، ولم تجد اهتماماً وافراً من العلماء بالتحليل والبحث كما هو الحال مع العديد من المواضيع الأخرى.

وللتأكيد على ذلك قام هلمت (Helmut,1966) برصد الكتابات الاجتماعية والنفسية خلال الفترة من (١٩٣٠-١٩٦٤) أي ما يزيد على ثلاثين عاماً، إذ لم يجد أيّاً من الدوريات الاجتماعية والنفسية الكبرى في أوروبا والولايات المتحدة تناولت هذا الموضوع في أي من أعدادها خلال هذه الفترة. كما يرى انه بالرغم من أن موضوع الحسد غالباً ما يتناوله الباحثون عند حديثهم عن قضايا أخرى ذات علاقة باعتباره أحد العوامل الهامة المرتبطة بتلك القضية، وخاصة من المخلصين السياسيين أو النفسيين. إلا أن أيّاً منهم لم يفرد له بحثاً خاصاً أو يحاول تفسير أسباب الظاهرة أو الأبعاد المرتبطة بها.

ويرى هلمت (Helmut,1966) أن مفهوم الحسد من المفاهيم الغامضة التي يدخلها الكثير من الكتاب تحت مفاهيم أخرى مثل الغضب، العدوانية. حتى في الكتابات الانثروبولوجية يرى أن هناك الكثير من الكتاب يخلط بين مفهوم الحسد وبين السحر، أو بين الحسد والعين واللذان يرى هو الآخر إنهما مفهومان مترادفان، إلا انه يرى أن الحسد يختلف عن الغيرة. وتأكيداً لذلك قام باستعراض مفهوم الحسد في القواميس اللغوية الأوروبية، وقد وجد أن مفهوم الحسد (Envy) في اللغة الإنجليزية وفقاً لقاموس أكسفورد، وقاموس ويبستر يفسر على انه الغيرة (Jealousy). ويرى أن هذين المفهومين مختلفان تمام الاختلاف.

وبالرغم من ذلك، فإنه لا زال إلى الوقت الحاضر يلاحظ في الكثير من الكتابات الغربية التي تناولت ظاهرة الحسد على وجه التخصيص أنها غالباً ما تستخدم هذا المفهوم بشكل مرادف لمفهوم الغيرة (Jealousy) بل انه من النادر في العصر الحاضر أن يستخدم العامة لفظ الحسد (Envy) إذ إن مفهوم الغيرة هو المفهوم الشائع والأكثر استخداماً للإشارة إلى الحسد في معظم الثقافات الغربية الأوروبية منها، والأمريكية.

أما في الثقافة العربية فإن الحسد مفهوم مرادف للعين وليس الغيرة، إذ نجد أن الكثير يستخدم هذان المفهومين بشكل مترادف ليشير إلى الشيء ذاته وذلك ربما لصعوبة الفصل بينهما لدى الكثير من الناس.

وبالرغم من ندرة الكتابات الاجتماعية العربية التي تناولت الظاهرة إلا أن البعض ممن تناولها من الباحثين العرب يستخدم المفهوم (الحسد، العين) ليشير إلى شيء واحد فالساعاتي (١٩٨٣) مثلاً تشير إلى المفهومين على أنهما شيء واحد، حيث تشير إلى العين في المجتمع المصري "بالحسد" حيث تقول: "يعتقد المصريون كثيراً في الحسد وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عنده خاصية في عينه إذا نظر إلى شيء ما أماته وأتلفه" (ص ٨٣).

وبالرغم من غموض هذه الظواهر الإنسانية الثلاث وتداخلها، إلا أن الحقيقة أن الحسد شيء يختلف عن كل من الغيرة، أو العين. فهو شيء أعظم من ذلك، فالحسد يشعر بأن إنجازات الآخرين، ونجاحهم، وسعادتهم تقتله وتسبب له التعاسة. فالحسد ينبع من شعور الفرد بأن هناك موارد محدودة من الحب، والسعادة في العالم ولن يبقى هناك ما يكفي إذا حصل الآخرون على أكثر من نصيبهم.

فالحسد شعور الفرد برغبته في تحطيم الآخرين وسحبهم إلى الهاوية عوضاً عن الارتقاء بالذات ومحاولة الصعود بها إلى الأعلى. كما أن الحسد عبارة عن شعور بالعنف والرغبة في انتزاع الأشياء من الآخرين، وعدم تملكهم إياها، وعند عدم قدرته على انتزاع الأشياء منهم، فإنه يشعر بالرغبة في تحطيمها. هذا بالإضافة إلى أن الحسد شيء من السهولة أن نشعر به ولكن من الصعوبة أن نصفه أو نعرفه. فالحسد عبارة عن الرغبة في تملك ما لدى الآخرين، وهذه الرغبة تنبع من معرفة الشخص الحاسد مسبقاً أنه لا يستطيع الحصول على مثل ذلك الشيء الذي يحسد الآخرين عليه، أو ربما قد يستطيع ذلك ولكنه يريد أن يحصل عليه بدون عناء أو تعب.

أما الغيرة فإنها ترتبط "بالتملك والخوف والحب" وبالرغم من أنها قد تشترك مع الحسد في بعض العناصر ألا أنها تختلف عنه من وجوه عدة. فالغيرة غالباً ما تقترب بالخوف من ضياع شيء عزيز يملكه الفرد كغيرة الرجل على زوجته وغيرة المرأة على زوجها من أن تأخذ منها امرأة أخرى. فالغيرة منبعها "الحب" بينما الحسد يكون منبعه "الكراهة" ولذا نجد أن الغيرة ترتبط ارتباطاً مباشراً بحب الاستئثار بالشيء وحب التفرد بامتلاكه. في حين أن الحسد يهدف إلى تدمير ممتلكات الآخرين وقدراتهم وإنجازاتهم.

ولذا قد تكون النتائج الاجتماعية والنفسية للغيرة حميدة في بعض الأحيان كأن يسعى الشخص إلى تحسين أعماله أو ذاته حتى يحتفظ بالشيء الذي يغار عليه أو يغار منه، في حين لا يكون كذلك أبداً في الحسد. حتى إن الغيرة غير مكروهة في الشريعة الإسلامية بل إنها محمودة وذلك بعكس الحسد.

فمنشأ الحسد الأنانية المفرطة في النفس الحسودة التي لا ترى سوى ذاتها ولا تريد خيراً لسواها. في حين أن الغيرة تركز على أشياء محددة ذات قيمة معينة لدى الشخص مثل العمل، والمال، والحب، ورضى

والوالدين. وهي جميعها أشياء يسلبها الآخرون منا، أو نخشى أن يسلبها الآخرون منا. فالغيرة ربما تكون نوعاً من الدفاع عن الذات، في حين أن الحسد يعد هجوماً على الآخرين.

أما العين فهي شيء مختلف تماماً عن كل من الحسد أو الغيرة، كما تختلف دوافعها عن كل من دوافع الحسد، والغيرة. فالعين قد تكون من كلا الجنسين للآخر فهي مرتبطة: "بالرغبة والدهشة والمفاجأة والتعجب" فاندھاش الشخص لشيء ما مع استنكاره له هو ما يمكن أن يسمى بالعين. فالعين غالباً تحدث بعد مشاهدة شيء ما أو وصف شيء ما للعائن بثير دهشته، أو تعجبه، أو رغبته فيه، ولا يشترط للعين الكره أو البغض كما هو الحال في الحسد، كما لا يشترط الحب أو الرغبة في التملك كما هو الحال في الغيرة، بل قد يعين الشخص ماله، أو ولده، أو اعز أصدقائه، أو حتى نفسه، ولكن لا نجد شخصاً يغار من نفسه أو يحسدها.

لذا فالعين تختلف عن الحسد وعن الغيرة، بالرغم من أن الكثير ممن تحدثوا عن هذه المفاهيم الثلاثة يخلطون بينها ويستخدمون كلا منها للإشارة إلى الأخ. أما الفرق الآخر بين الحسد والعين فإن الحسد يمكن أن يحدث من أي شخص صغيراً كان أم كبيراً، ذكراً كان أو امرأة، لأنه جبلة في النفس البشرية منذ أن خلق الله الخلق، ولكن طريقة إظهاره تختلف باختلاف الأشخاص ودرجة تحضرهم، ومقدار علمهم، وثقافتهم.

وقد يظهر الحاسد عدم رضاه وسخطه عن الشخص المحسود في بعض الأحيان لخاصته وأصفيائه كنوع من التنفيس عما يشعر به من الغيظ والكره، أو قد يظهر حسده في بعض الأعمال الشريرة التي يوجهها للنيل من الشخص المحسود سواء كانت قولاً أو فعلاً. أما العين فإنها تقتصر على أشخاص محددين في المجتمع يعرفون بإصابتهم للعين، وغالباً ما يتجنبهم الناس اتقاء لشهرهم. وإن صادف أن التقى شخص ما بأحدهم فإنه يحذره ويتحاشى عينه. وحتى العائنين أنفسهم نظراً لما يجدونه من نبذ المجتمع لهم وخشيتهم منهم فإنهم غالباً يتظاهرون بعدم إصابتهم ويحاولون أن يظهرهم ودهم وحبهم للآخرين، وإن صدر منهم شيء ما لتعزيز فإنهم غالباً ما يشعرونه بذلك ويحاولون إصلاح ما تسببوا فيه من شر لذلك الشخص. بعكس الحسد فإن الحاسد لا يرتاح أبداً حتى يذهب ويؤول ما لدى المحسود من خير. أما غير هذه الفئة من المجتمع فإنها لا تضر حتى لو أرادوا ذلك، فهم غالباً لا يصيبون وإنما يمكن تصنيفهم ضمن الحسودين وليس العائنين. أما التفسير الاجتماعي للعائنين فيلاحظ اختلاف التفسيرات المرتبطة بالعائنين من مجتمع إلى آخر حيث ينظر إليهم بعض الناس على أنهم أشخاص يملكون قوى خارقة أو قوى خفية

مما يجعل الشخص الذي يملك مثل تلك القوى يمتاز بالعديد من المميزات التي تجعله مشهوراً في المجتمع وربما يسترزق من ذلك.

في حين يرى آخرون أن العائنين هم في واقع الأمر أشخاص هامشيون في المجتمع يحاولون جلب أنظار الآخرين إليهم بادعاء القدرات الخارقة، أو تخويف الآخرين من قدرتهم على إحداث الشرور. وقد أشار داي تاوا (Di Tota, 1983) إلى ذلك، إذ يرى أن بعض الأشخاص الذين يشعرون بأنهم هامشيون في المجتمع يحاولون أن يظهروا للآخرين، إنهم يملكون القوة والقدرة على تدمير الآخرين مما يجعلهم موضع خوف واهتمام المجتمع المحيط بهم. في حين يربطها البعض بالسحر والشعوذة، وقيمها من هذا القبيل في حين يعتبرها البعض الآخر جزءاً من الحسد أو ردة فعل غاضبة لحسد تظهر في شكل العين. وهذا ربما هو ما أشار إليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن العين هي نتيجة لحسد الحاسد. كما أنه الأكثر شيوعاً في الثقافة العربية. وتتفق الثقافة النرويجية مع الثقافة العربية في أن العين نتيجة مباشرة للحسد حيث يشير داي تاوا (Di Tota, 1983) إلى أن العين نتيجة مباشرة للحسد وناتجة عنه.

وبالرغم من معظم التفسيرات الاجتماعية والنفسية التي تناولت ظاهرة العين في الثقافة الإنسانية وما نتج عنها من تفسيرات افتراضية لتحديد بعض الخصائص العامة للأشخاص العائنين إلا أنني اتفق مع ما ذهب إليه سيبرس (SIEBERS, 1981) من أنه لا يمكن تحديد خصائص محددة للعائنين بصفة علمية قاطعة. فمعظم الكتابات الاجتماعية وخاصة الأنثروبولوجية أو النفسية منها التي تناولت هذه الظاهرة غالباً تتناول الضحايا الذين يعتقدون أنهم تعرضوا للعين أو الحسد. إلا أنه لا يوجد دراسات اجتماعية أو نفسية تتناول الأشخاص المسيبين للعين والحسد (العائنين) بصفة علمية. فمعظم الكتابات التي تناولت هذه الجوانب غالباً ما تبني على الحسد والتكهنات والافتراضات النظرية وليس على حقائق علمية. أي أن هذا الجانب من هذه الظاهرة يعتمد غالباً على التنظير أكثر من الحقيقة.

ومن الجدير ذكره أن مصطلح (العين) باللفظ ذاته (عين) مصطلح شائع في معظم الثقافات الإنسانية إلا أن البعض يستخدمها مجردة من الإضافة كما هو الحال في الثقافة العربية وثقافات بعض شعوب البحر الأبيض المتوسط، والثقافات الأفريقية، أو الشرق أو وسطية في حين يقرها آخرون بالشر كما هو الحال في اللغة الإنجليزية (Evil Eye).

كما تجدر الإشارة إليه أن العين ما زالت من الحقائق المسلم بها في الكثير من المجتمعات التقليدية في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية. وبعض المجتمعات الأوربية القريبة من المجتمعات العربية كمجتمعات البحر الأبيض المتوسط. حيث ما زال الإيمان بالعين والخوف منها يحظى بالكثير من الاهتمامات الشخصية

للأفراد في تلك المجتمعات كما إن الخوف منها ما زال يقوم بدور رئيس في الكثير من تعاملات الناس اليومية.

في حين أن هذا المفهوم أصبح من المفاهيم النادرة الاستخدام في المجتمعات الأكثر تحضراً في أوروبا وأمريكا. حتى الحسد بمفهومه الأقوى (Envy) لم يعد من المفاهيم الشائعة في تلك المجتمعات إذ يستخدم الناس في تلك المجتمعات مفهوم الغيرة (Jealousy) عوضاً عنه. وربما يقود ذلك إلى القول بأن الحسد والعين ربما من الأمور المرتبطة بالثقافات التقليدية والنماذج يكونان أكثر وضوحاً فيهما.

ويتبين مما سبق أنه بالرغم من التداخل الشديد بين كل من هذه المفاهيم الثلاثة، فإن هناك العديد من الفوارق الظاهرة بين كل منها وخاصة بين مفهومي العين والحسد موضع اهتمام هذه الدراسة. وربما يمكن أن تكون تلك الفوارق أكثر وضوحاً عند استعراض الخصائص المرتبطة بكل منهما والتي تتمثل فيما يلي:

الخصائص المرتبطة بالحسد والعين

بالرغم من تداخل مفهومي الحسد والعين كما أشير سابقاً إلا أنه عند تجريد كل منهما واستعراض الخصائص المرتبطة به تتضح الفروق الهامة بينهما. فعند استعراض أهم الخصائص المرتبطة بالحسد يتضح أن هناك العديد من العوامل تتمثل فيما يلي:

أولاً: الخصائص المرتبطة بالحسد:

١- القيمة

الحسد يرتبط ارتباطاً مباشراً "بالقيمة والحقد" فالقيمة المادية والمعنوية للأشياء هي التي تدفع الآخرين إلى أن يحسد بعضهم بعضاً وفقاً لقيمة الشيء المشترك بينهما الذي يتحاسدون عليه. فأهمية الشيء للمجتمع أو الجماعة القريبة من الشخص هي التي تولد الشعور بالتحاسد بين الأشخاص. ويعد عامل القيمة العامل الرئيس الذي يحدد بشكل قاطع أسباب الحسد ودوافعه، كما أنه عامل مشترك في كل الخصائص والعوامل الأخرى.

فقيمة الشيء لدى هذه الفئة هي التي تدفعهم إلى حسد الآخرين. وحيث إن قيم الأشياء تختلف باختلاف العمر، أو الجنس، أو الطبقة الاجتماعية، فإن هذا العامل يحدد كافة الأمور المرتبطة بالحسد. فالأشياء التي تعد ذات قيمة معينة وهامة لدى الصغار ويحسدون بعضهم البعض عليها لا تكون كذلك لدى الكبار. وكذلك الأمر لدى النساء، أو لدى طبقات اجتماعية أو بيئية مختلفة. فالقيمة شيء معنوي

يختلف باختلاف العمر، والجنس، والبيئة، والطبقة الاجتماعية والاقتصادية، كما أنه يختلف باختلاف الزمن.

٢-الحسد ينشأ بين الأشخاص المقربين

الحسد غالباً يكون بين المجموعة المرتبطة بعلاقات مباشرة أو القرية من الشخص في تعاملاته اليومية كأفراد الأسرة من الأخوة، وأبناء العمومة، والأصدقاء والجيران، وأبناء القرية، أو القبيلة، أو الحي، أو زملاء العمل، أو الدراسة وما شابه ذلك . فنادرًا ما يحسد الشخص الغرباء. فمن الملاحظ أن الفرد لا يحسد الأشخاص البعيدين عن محيطه الاجتماعي بل إنه لا يحسدهم حتى لو كانوا أكثر منه مالاً وجاهاً. في حين أنه ربما يحسد جاره، أو صديقه أو قريبه، أو زميله في العمل.

وربما يعزى ذلك إلى كون ذلك يرتبط أيضاً بحب الظهور والتفوق، ولعل ما يردد في الثقافة العربية من أقوال مثل "بز فلان أقرانه" أي تفوق عليهم بالمقارنة غالباً تكون بين الجماعة المتماثلة في بعض الصفات الاجتماعية أو العمرية، أو الاقتصادية فالتنافس غالباً ينشأ بين الجماعة الواحدة مما يقود إلى الصراع. فقضية الصراع التي تحدث عنها "ماركس" ما هي في الواقع إلا نتيجة للحسد الناتج بين الجماعات الاجتماعية . فالحسد يعد ركيزة أساسية لبعض النظريات الكبرى في الدراسات الاجتماعية كالنظرية الصراعية، ونظرية فرويد في علم النفس الاجتماعي. ولا يقتصر هذا على الثقافة العربية بل انه يتجاوزها إلى الثقافات الأخرى حيث يشير إلى هذه الحقيقة هلمت (Helmut,1966) ويرى أن الحسد من الظواهر السيئة تنشر بين الجيران حيث يقول: إن الجار يعتقد انه إذا انكسرت رجل جاره فإنه يستطيع أن يمشى هو بصورة أفضل).

٣-الحسد لا يكون في الأشياء المستحيلة

الناس غالباً يحسدون الآخرين على أشياء حققوها أو أنجزوها، أي أنهم لا يحسدونهم على الأشياء المستحيلة، أو الأشياء المتوقعة، بل أنهم غالباً ما يحسدون بعضهم البعض على الإنجازات التي تحققت وتبدو واضحة للعيان.

٤- يختلف الحسد باختلاف العمر

حيث إن الحسد يرتبط بالقيمة كما أشير سابقاً فعليه فهو يختلف باختلاف العمر فالصغار يحسدون بعضهم بعضاً على أشياء تعد تافهة لمجتمع الكبار إذ نجد الصغير يحسد أبين الجيران، أو الأقارب، أو أحسد أخوته على لعبة أو قطعة حلوى، أو ربما حتى على الجلوس في حجر أمه أو أبيه. وكلما تقدم الإنسان في العمر تغير مفهوم القيمة للأشياء لديه، فابن الخامسة عشرة لا تلفت انتباهه قطعة الحلوى التي كان يحسد

ابن الجيران عليها في حين نجد أنه أكثر اهتماماً بقضايا أخرى كالتنافس في المدرسة، أو في الفريق الرياضي، فنجد مثلاً يحسد فلاناً على سرعته أو على طريقة لعبه وإتقانه للعبة ما وهكذا.

وعندما يصبح شاباً يبدأ مفهوم القيمة للأشياء يتغير لديه، إذ يصبح أكثر اهتماماً بتحقيق مستقبل أفضل ودرجة علمية، ووظيفة مرموقة، فنجد مثلاً يحسد ابن الجيران أو الأقارب، أو زملاء الدراسة أو أبناء الحي، لأنهم حققوا أشياء أفضل مما حققه هو. وهكذا يتطور مفهوم الحسد ويتغير لدى الإنسان بتطور مراحل العمر، حيث ترتبط كل مرحلة بنظرة مختلفة للأشياء مما يولد نظرة مختلفة للحسد.

٥- يختلف الحسد باختلاف الجنس

وإذا ما نظرنا إلى الحسد لدى النوع لوجدنا الرجل نادراً ما يحسد امرأة والمرأة نادراً ما تحسد رجلاً، فالحسد غالباً يكون بين أبناء الجنس الواحد وخاصة بين الغرباء، ولكن قد يحسد الأخ أخته أو تحسد الأخت أخاها. أما الغرباء فإن الحسد غالباً يكون أكثر ارتباطاً بأبناء الجنس الواحد وذلك يعزى إلى أن قيمة الأشياء لدى الرجال تختلف عنها لدى النساء. فالنساء يحسدن بعضهن البعض من الجارات، أو القريات على هندام جميل، أو شعر طويل، أو حلى أو ما شابه ذلك. في حين هذه الأمور لا تمثل أهمية بالنسبة للرجل.

كذلك يحسد الرجل الرجل الأخ على وظيفة مرموقة أو منزل جميل أو أي أمر ذي بال يجتمع الرجال. ولكن نادراً ما يحسد رجل امرأة على شعرها الطويل أو ثوبها الجميل. بالرغم من أنه قد يعجب بذلك ويستحسنه ولكنه لا يحسده. فإذا ما كان هناك نوع من الحسد فربما يحسد صديقه أو زميله أو جاره على كونه زوجاً لهذه المرأة الجميلة ولكن غالباً لا يحسد المرأة ذاتها. ولكن عندما تتماثل الأدوار كأن تكون المرأة تعمل مع الرجال، أو العكس فإنه ربما يحسد أحدهما الآخر بصرف النظر عن النوع وذلك لكون قيمة الشيء الذي يحسدون بعضهم البعض عليه يمثل قيمة مساوية لكليهما كفرص الترقى في العمل أو الوظيفة أو المركز وما شابه ذلك.

٦- يختلف الحسد باختلاف الطبقة الاجتماعية والاقتصادية.

وكما أن الحسد يرتبط بنفس النوع والفئة العمرية، يلاحظ أيضاً أنه يرتبط بالمهنة أو الطبقة الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالفرد إلى حد كبير فأصحاب المهنة الواحدة يحسد بعضهم بعضاً، فالتجار مثلاً يتحاسدون فيما بينهم على الحصول على الصفقات التجارية أو التوكيلات أو زيادة الأرباح، في حين أن العاملين في الوظائف المكتبية يتحاسدون على الترقيات والعلاوات والنجاح في العمل. وهكذا نجد أنه من النادر أن يحسد شخص شخصاً آخر من خارج الإطار المحيط به مهنيّاً كان أو اجتماعياً.

٧- يختلف الحسد باختلاف البيئة

يختلف الحسد باختلاف البيئة التي يعيش فيها الشخص بدوية كانت أم ريفية، أم حضرية. فلو نظرنا إلى مفهوم الحسد وفقاً للبيئة لوجدنا أن أبناء البادية يحسدون بعضهم بعضاً على ما يملكون من الحيوانات والمواشي، أو الفصاحة أو الجاه، أو القوة البدنية. في حين أن أبناء الريف يحسدون بعضهم بعضاً على المزارع والمواشي ومشابه ذلك. أما في المجتمعات الحضرية فتتعدد دوافع الحسد بتعدد المهن والفئات الاجتماعية. ويعزى ذلك إلى أن القيمة المعنوية للأشياء تختلف باختلاف البيئات فما هو قيم ومهم عند البادية قد لا يكون كذلك للحضر وهكذا. بل إن ذلك ربما يكون مندرجاً أيضاً على الثقافات الإنسانية المختلفة وفقاً للقيم المعنوية للأشياء لديها. فعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى الأسرة العربية لوجدناها تخشى الحسد على العديد من الأمور منها الأبناء، والممتلكات والصحة في حين نجد هذه الأشياء لا تشكل أهمية في ثقافة أخرى كالثقافة الغربية مثلاً، فلو سئل شخص غربي نفس الأسئلة فلن تكون نفس الحساسية التي توجد لدى العربي. كما أن الشخص الذي يقيم في المدينة قد لا يحسد القروي على بهائمه أو مزارعه. في كما أن القروي قد لا يحسد الحضري على منصبه أو وظيفته وهكذا.

٨- الحسد شيء متغير

كذلك يتغير مفهوم الحسد بتغير الزمن فما يحسد عليه اليوم في ثقافة ما لا يكون كذلك في زمن آخر. فعلى سبيل المثال العدد الكبير من الأبناء كان شيئاً ذا قيمة معنوية عالية في الثقافة العربية تفتخر بها الأسرة وتخشى عليها من الحسد. ولذا نجد العربي يتحاشى أن يذكر عدد أبنائه. أما في العصر الحالي وبعد أن أصبح إنجاب الأبناء يشكل أعباء اقتصادية كبيرة، أصبح الناس ينظرون إلى الرجل كثير العيال نظرة شفقة بل إنه هو ذاته يذكر كثرة عياله كنوع من الشكوى لرفق حاله وكثرة مصروفاته .

٩- الحسد ينشأ مع الفرد منذ الصغر

بالرغم من انه لم توجد دراسات علمية تؤكد ما إذا كان الحسد شيئاً فطرياً أو مكتسب إلا أن هناك من يرى أن الحسد ينشأ مع الطفل منذ المراحل المبكرة من عمره ويشير هارولد (Harold, 1994) إلى هذه الحقيقة، إذ يرى أن الحسد يبدأ مع الإنسان في مرحلة مبكرة من عمره ابتداءً من مرحلة الرضاعة حيث أن رغبته في الرضاعة وحب تملكه لأمه، وللتندي الذي يرضع منه، يجعله يشعر بالرغبة في تملك ذلك الشيء. ولعل هذا المثال الذي أورده هارولد يندرج تحت ما أطلقنا عليه القيمة. فالندي في نظر الصغير له قيمة كبيرة حيث انه مصدر غذائه وسعادته.

وتتفق المالبني (Melanie, 1975) مع ما ذهب إليه هارولد من أن الحسد ينشأ مع الفرد منذ لحظة الولادة وترى أن مثل هذا الشعور هو بداية لمحاولة الإنسان الشعور بالرغبة في تطوير الذات. أما أصحلب الاتجاه الفرويدي فيرون أن الحسد ينشأ مع صغار الإناث منذ مرحلة التعرف على الذات حيث أن النظرية الفرويدية (Pines Envy) شغلت حيزاً كبيراً من التحليل النفسي، وما زال هناك من يؤمن بها إلى حد كبير.

١٠- الحسد فطري والخوف منه مكتسب

وإذا ما نظر إلى الحسد من حيث هل هو فطري أو مكتسب. فإنه يمكن القول إن الشعور بالحسد ربما يكون فطرياً في النفس البشرية ولكن درجة الخوف منه وقوتها، أو التحكم به شيء مكتسب، يتعلمه الإنسان في مراحل عمره المختلفة. فصغار السن غالباً يحسدون بعضهم البعض منذ مرحلة مبكرة من العمر، ولكن لا يشعرون أو يظهرون تخوفاً من حسد الآخرين. وكلما تقدم الإنسان في العمر يظهر عليه الخوف من الحسد بشكل أكبر ويظهر ذلك في تصرفاته وسلوكه.

فكبار السن غالباً يظهرون اهتماماً أكبر بمفعول الحسد والعين والخوف منهما بصورة أكثر وضوحاً من صغار السن من الشباب. بل إن الأمر قد يصل عند بعضهم إلى درجة مرضية، لذا فهم غالباً يظهرون خوفهم في شكل التمنية بالمعوقات، والوصايا المستمرة للأبناء باتقاء بعض الأمور التي يرون أنها ربما تسبب لهم الحسد. وربما يكن ذلك طبيعياً في المجتمع الإنساني فقصة يعقوب عليه السلام وتوصيته لأبنائه بأن يدخلوا من أبواب متفرقة وأن لا يدخلوا من باب واحد بالرغم من كونه نبياً تعطينا العديد من المؤشرات المؤكدة لما أشير إليه سابقاً. وقد يعزى ذلك إلى تراكم الخبرة بأمور الحياة لدى كبار السن وافتقار صغار السن من الشباب إلى مثل تلك الخبرة. وربما يعزى ذلك إلى أن الحسد كشعور وإحساس يعد شيئاً فطرياً في النفس البشرية، ولكن الخوف منه شيء مكتسب يتعلمه الإنسان في مراحل عمره المختلفة من خلال تجاربه وخبراته وطرق التنشئة التي يتعرض لها. فالاعتقاد بالحسد يزداد لدى الفرد أو ينقص وفقاً للتنشئة التي يتعرض لها.

وتؤكد دراسة ستين (Stein, 1974) التي طبقت على المجتمع السلوفاكي الدور الهام للتنشئة الاجتماعية التي يتعرض لها الطفل في تعزيز الاعتقاد والإيمان بالحسد والعين.

كما انه يلاحظ أن الأفراد الذين ينشئون في بيئة تقليدية ينتشر فيها الإيمان بمثل هذه المعتقدات يكون غالباً أكثر استجابة وأكثر أيماناً بمفعول الحسد في حياته الاجتماعية وأكثر عزوا لاختلافاته في الحياة إلى الحسد. في حين الأشخاص الذين يعيشون في مجتمعات أكثر تحراً من القيود التقليدية الاجتماعية يكونون

أقل اعتقاداً في ذلك، وتتضح هذه الصورة ربما فيما لو تمت المقارنة بين الثقافتين العربية والغربية، إذ إن الخوف من الحسد يشغل حيزاً كبيراً في حياة العربي وسلوكه، في حين لا يكون الأمر كذلك في حياة الغربي.

١١- الأميون أكثر خوفاً من الحسد من الأشخاص المتعلمين

تختلف قوة الإيمان بالحسد والخوف منه وفقاً لاختلاف الأفراد ذاقهم بصرف النظر عن مستوياتهم الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو التعليمية، أو درجة التحضر، وبالرغم من عدم وجود دراسة علمية تؤكد درجة الخوف من الحسد والعين وفقاً للخصائص الاجتماعية والاقتصادية، إلا أن الملاحظ أن الأفراد الأقل تعليماً ربما يظهرون خوفهم من الحسد بصورة أكثر وضوحاً من الآخرين. وربما يعزى ذلك إلى طبيعتهم البسيطة والمباشرة في التعامل، بعكس الأفراد الأكثر تعليماً أو تحضراً والذين غالباً ما يخفون الكثير من مشاعرهم الذاتية، أو يستطيعون التحكم بها.

١٢- النساء أكثر خوفاً من الحسد من الذكور

النساء ربما يكن أكثر خوفاً من الحسد من الرجال وربما يعود ذلك إلى حب المرأة للظهور والبروز مما يجعلها محط أنظار الآخرين بصورة أكثر من الرجال. زيادة على الاستعداد الذاتي للمرأة لقبولها للإيحاء وإيمانها بالخرافات والغيبيات بشكل أكثر وضوحاً من الرجال. وقد أكدت دراسة الصبي (Al-subaie, 1994) في المجتمع السعودي، ودراسة مادنوس (Madianos, 1999) في المجتمع اليوناني ذلك، فقد أشارت كل من الدراستين إلى أن النساء أكثر إيماناً بالعين والحسد، كما أنهن أكثر خوفاً من الذكور من الإصابة بها.

ثانياً: الخصائص المرتبطة بالعين

وعند استعراض أهم الخصائص المرتبطة بالعين يتضح أن العين تتصف بالخصائص التالية:

- ١- حضور وسرعة بديهة العائن وقدرته على الدقة في التشبيه يتصف العائنون في المجتمع العربي بالدقة الشديدة في الوصف، حيث أنهم حينما يرون شيئاً يثير دهشتهم وإعجابهم، يقومون بتشبيه بشيء آخر محسوس من البيئة المحيطة. وينبئ ذلك عن حضور البديهة للشخص العائن.
 - ٢- عدم القدرة على السيطرة في ضبط خروج العين وارتباطها بخروج اللفظ من العائن.
- أما الخاصية الثانية فتتمثل في عدم استطاعة العائن التحكم في مشاعره اتجاه ما يراه أو يسمعه حيث أنه يظهر دهشته وإعجابه في صورة ألفاظ يتلفظ بها تجاه الشخص المقصود وهي ما يطلق عليه (العين)

فالعين لا بد أن تكون نتيجة تلفظ العائن بألفاظ معينة تعكس دهشته وإعجابه بذلك الشيء الذي رآه أو سمع عنه.

بالرغم من أن المسمى الدارج عن العرب (العين) يوحي أن العين هي نتيجة الإصابة بعين العلتن. إلا أن الواقع الاجتماعي يوضح أن العين لا تقتصر على ما يراه العائن حوله أو على الأشخاص المحيطين به بل أن العائن قد يرسل سهامه إلى آخرين بعيدين كل البعد عنه، أو ربما قد لا يعرفهم البتة. وإنما سمع عنهم في مجلس ما وأثاروا إعجابه ودهشته. وهذا يختلف مع الحسد الذي يكون غالباً محصوراً في الأشخاص المحيطين بالفرد من أقارب وجيران وزملاء عمل. كما يتضح أن العين لا تقتصر على حاسة العين فقط وإنما تتجاوزها إلى الحواس الأخرى، مثل حاسة السمع، أو ربما حتى حاسة الشم، أو اللمس، فالعائن ربما يكون أعشى، ومع ذلك يستطيع أن يصيب الآخرين من خلال ما يسمعه من أوصافهم. أو ربما يكون ذلك عن طريق شم رائحة ما يعجب بها أو تثير اهتمامه، أو ربما عن طريق لمس شيء ما يثير دهشته. وعليه يتضح أن العين ليست قصراً على حاسة العين فقط. كما يتبادر إلى الذهن من التسمية. وإنما قد تكون نتيجة تفاعل العديد من الحواس الأخرى التي تعمل مجتمعة أو منفردة لتثير دهشة العائن وإعجابه، مما يجعله يتلفظ بالوصف تجاه الشخص المعيون. إلا أنه في كل الحالات لا بد أن يصاحب العين لفظاً ما يصف دهشة العائن اتجاه المعيون. وتعد هذه الخاصية من أكثر الخواص الفارقة بين الحسد والعين حيث إن الحسد غالباً ما يكون شعوراً في الصدر قد لا يصاحبه تلفظ الحاسد بما يشعر، بل قد يظهر ذلك في العديد من الصور الأخرى. وذلك بعكس العين التي يشترط أن تظهر في صورة ألفاظ يطلقها العائن لترسل كالسهم لتصيب الضحية، أي كان موقعه أو قربه أو بعده من العائن، وأياً كانت منزلته الاجتماعية أو القرابية من العائن.

١ - انحصار العين في أشخاص محدودين في المجتمع

كما تختلف العين عن الحسد في أن الأشخاص العائنين محدودون في المجتمع، إذ إنه في كل مجتمع من المجتمعات وخاصة المجتمعات التقليدية كالقرى والأرياف أو ما شابه ذلك يوجد أشخاص معروفون بقدرتهم على الإصا به بالعين. وقد يعترف هؤلاء الأشخاص للآخرين بذلك ويرون أنهم شبه مرضى بذلك الداء، وأنهم يعملون جهدهم أن لا يصيبوا الآخرين بأذى. في حين ينكر آخرون ذلك وينفون هذه الصفة عن أنفسهم ويحاولون أن يتوددوا للمحيطين بهم، في حين أن الكثير من المحيطين بهم يحاولون تجنبهم أو اعتزالهم أو منعهم من دخول منازلهم. في حين الحسد شيء عام لدى كافة البشر، ولكن مستوى تعليم

الشخص وطريقة تنشئته وتربيته هي التي تساعد الشخص على التحكم في إظهار ما يشعر به من حسد اتجاه الآخرين.

٥- العين لا تصيب الأعداء

أما البعد الخامس والآخر فيتمثل في إجماع الكثير ممن تمت مقابلتهم من مجتمعات عربية مختلفة على أن العائن لا يستطيع أن يصيب بعينه الأعداء، وإنما يقتصر تأثيره على الأشخاص في حالة هدوءه وعدم غضبه إذ إن من شروط العين التلقائية. فإذا ما كان العائن غاضباً فإنه لا يصيب ولا يستطيع إيذاء عدوه أو الشخص الذي غضب منه. وتوضح هذه النتيجة ما سبق الإشارة إليه في أن العين تكون نتيجة لعامل الدهشة أو الاعجاب أو الاستغراب وليس الغضب والحقد وربما هذا يكون أحد الفروق الأخرى بين العين والحسد الذي يكون منبعه الكره والطمع والحقد. فالعائن قد يصيب نفسه، أو أبناءه أو ماله ولكنه لا يستطيع أن يصيب أعداءه. كما أن الحاسد لا يحسد نفسه، وربما قد لا يحسد أبنائه.

- العوامل المرتبطة بالخوف من الحسد والعين في المجتمع العربي:

يمكن القول إن الخوف من الحسد والعين لا يقتصر على الثقافة العربية، بل تشترك معظم الثقافات الإنسانية في الاعتقاد والخوف من العين، ففي المجتمع الإيطالي على سبيل المثال أوضحت دراسة انثوني (Anthony, 1982) الكثير من الوقائع اليومية والقصص المتداولة عن ضحايا العين. وعند استعراض تلك القصص، يتضح أنها لا تختلف في مضمونها أو دوافعها عن تلك المتداولة في الثقافة العربية عن العين.

كما بينت بعض الدراسات التي طبقت في المجتمعات الأفريقية، أو الشرق أوسطية، أو في أمريكا اللاتينية تشابهاً كبيراً في اعتقاد الناس في العين ومدى تأثيرها في حياتهم اليومية. ففي مصر مثلاً أوضحت دراسة أميتاف (Amitav, 1983) التي طبقت على قرية (شخو الجدايدة) التأثير القوي للخوف من العين والحسد بين الفلاحين في تلك القرية مما يجعل ذلك يتحكم في الكثير من أمور حياتهم اليومية، أو حتى تصميم منازلهم. وتشير الدراسة إلى أن البهائم تعد المصدر الرئيس للعين حيث إنها المصدر الرئيس للاقتصاد في القرية إلى جانب الأرض وعليه يحرص الأهالي على أن تظل بهائمهم في مكان آمن عن عيون الآخرين حيث تبني حظائر البهائم خلف المنازل حيث لا يمكن للمارة مشاهدتها.

أما في إثيوبيا وفي مجتمع المهرة بالتحديد فقد أوضحت دراسة رونالد (Ronald, 1974) انتشار ظاهرة اعتقاد الناس في العين وتحكمها في حياتهم اليومية.

وربما يمكن القول إن دوافع الحسد في المجتمع العربي لا تختلف عنها في المجتمعات الأخرى، إذ إن الحسد غالباً يكون في أمور عامة يشترك فيها غالبية البشر. إلا أن تلك الأمور تختلف باختلاف البيئة الثقافية وطبيعة تلك البيئة حضرية أو قروية أو بدوية وذلك يعود إلى ما سبق الإشارة إليه بعامل (القيمة) فقيمة وأهمية الشيء لدى الأشخاص المحيطين بالفرد هي التي تعطيه تلك الأهمية التي تجعله موضوع عين حسد الآخرين. كما أن الندرة ونقص الموارد ربما تكون من أكثر العوامل الدافعة إلى الحسد والعين في الكثير من المجتمعات حيث يحسد الأشخاص الذين لا يملكون الآخرين الذين يملكون.

ويرى ستيفنسون ((Stephenson, 1974)) أن العوامل الاقتصادية ونقص الموارد تعد من أكثر العوامل الدافعة للحسد في المجتمع الإنساني. وسنستعرض هنا أهم الدوافع أو العناصر الرئيسة التي يخشى عليها الناس في المجتمع العربي من الحسد أو العين، وربما يكون ذلك في الكثير من الثقافات الإنسانية:

١- الممتلكات

ويعد هذا المصطلح من المصطلحات العامة التي يمكن أن يدرج تحتها الكثير من الأمور الأخرى مثل المال، والجاه، والجمال، وغيرها فكل ما يملك الإنسان يعد ممتلكات وعليه فإن الشخص الذي يمتلك شيئاً خاصاً يجعله ينفرد به عن الآخرين المحيطين به غالباً ما يكون موضوع حسد من المحيطين به. فعندما يشيد شخص ما على سبيل المثال منزلاً جديداً فإنه غالباً ما يتظاهر بالدين والفقر خوفاً من حسد الآخرين له واتهامه بالغبى. وكذلك عندما يشتري سيارة جديدة فإنه يخشى عليها من أعين الآخرين مما يجعل البعض يبالح في ذلك ويقوم بعمل الكثير من الطقوس التي يعتقد أنها ستقيه من العين حتى إن البعض يقوم بأخذ سيارته الجديدة والذهاب بها إلى بعض الأضرحة التي يعتقد في صلاح أصحابها والاستعانة بها لدرء العين والحسد عن سيارته. في حين أن الحيوانات والأراضي الزراعية تعد من الأمور الشائعة التي يخاف عليها القروي كثير فعندما يملك المرء بقرة حلوباً أو أرضاً خصبة فإنه لا يتردد عن بذل كل ما يستطيع لتجنبها حسد الآخرين. وعليه فالقروي غالباً يتظاهر أمام معارفه أن بقرته لا تدر الحليب، أو أن أرضه لا تقدم محصولاً جيداً وما شابه ذلك.

ويعد الخوف على الممتلكات من أبرز الأمور في الثقافة العربية مما يجعل مثل ذلك السلوك يمارس بطريقة مرضية تجعل بعض الأشخاص يعيشون في وسواس دائمة وقلق مستمر وحياة شك وتوجس من الآخرين.

الأبناء :

كما يعد الأبناء أحد العوامل التي يحسد عليها الناس بعضهم بعضاً في المجتمع العربي . فالأبناء من الأمور التي يخشى العربي عليها كثيراً. ولذا فإن العربي لا يحب أن يسأله الآخرون عن أبنائه. وعندما يسأل هو عن أبناء الآخرين أو عددهم فإنه يقرن ذلك بعبارة " ما شاء الله " فالعربي يخشى كثيراً على أبنائه وغالباً لا يفصح عن العدد الحقيقي لأبنائه عند سؤاله عن عددهم خوفاً عليهم من الحسد. كما أنه من الشائع في الثقافة العربية أن لا يمتدح الزائر جمال الطفل أو حسن مظهره أو صحته، لأن ذلك ربما يفسر تفسيراً معاكساً ويعد هذا مخالف تماماً لما هو شائع في الثقافة الغربية على سبيل المثال. إذ إن امتداح جمال الطفل أو صحته أو حسن مظهره يعد نوع من المجاملة الاجتماعية.

الوظيفة

وتعد هذه من الأمور المستحدثة في الثقافة العربية، إذ إن الوظيفة لم تكن تشكل جزءاً من البناء التقليدي في المجتمع العربي الذي يقوم اقتصاده على الفلاحة والرعي إلى حد كبير. إلا أنه مع تغير الحياة الاجتماعية وظهور الوظائف مصدراً رئيساً للدخل، ظهر الخوف على الوظيفة كأحد الأسباب الرئيسة التي يخشى عليها الشخص من حسد الآخرين. مما يجعل البعض عندما يحصل على ترقية ما أو شغل منصب معين يخشى كثيراً على نفسه من حسد المحيطين به، وقد يخضع من قبل أسرته في بعض المجتمعات العربية إلى العديد من الطقوس التي يرون أنها ضرورية لحفظه ووقايته من الحسد. ويعد الحسد الوظيفي من الأمور الشائعة في الكثير من المجتمعات وحتى المجتمعات الغربية التي غالباً ما يطلقون على مثل هذا النوع من الحسد (Jealousy) إذ توضح بعض الدراسات التي تناولت الحسد الوظيفي شيوع الظاهرة في الكثير من المنظمات الوظيفية ففي دراسة كوهن (Cohen,2000) على سبيل المثال وجد أن ظاهرة الحسد في المجال الوظيفي من الظواهر الشائعة في العديد من المنظمات الأمريكية. كما أن لها الكثير من الآثار السلبية النفسية والاجتماعية على الموظفين سواء الذين يتعرضون للحسد أو الذين يشعرون به تجاه الآخرين. إذ إن مثل ذلك الشعور يؤدي إلى ضعف العلاقات الاجتماعية في محيط العمل والتكتم والغيرة، والانعزالية كما قد يؤدي في بعض الأحيان إلى العنف والكراهية.

الصحة والعافية

ومن الأمور الهامة التي يخشى عليها العربي كثيراً من الحسد والعين الصحة، فقد كانت السمينة إلى وقت قريب تعد السمينة علامة من علامات الصحة التي يفضلها الناس كدليل على العافية. وعليه فإن الشخص عندما يكون ممتلئ الجسم فإنه قد يخشى على نفسه من الآخرين. ووفقاً لذلك فقد تعارف في

المجتمع العربي انه عندما يتحدث شخص ما عن صحة الشخص الذي يقابله، فانه يجب أن يرفق ذلك ويشفع حديثه بالمشيئة (ما شاء الله) كما أن الشخص لو أصيب بأي عارض صحي بعد تلك المقابلة فانه لا يتردد أن يعزو ذلك إلى عين إصابته من ذلك الشخص الذي امتدح صحته وعافيته. وعليه فإن الصحة والعافية من المواضيع التي يتجنبها العربي بالامتداح أمام محدثه.

الجمال

أما العنصر الأخير الذي سنتطرق له كأحد العناصر التي يخش عليها العربي من العين فهي الجمال، فالشخص الجميل الشكل غالباً ما يخشى من عيون الحاسدين، وقد عرف عن العرب ذلك حتى انه عرف في بعض قبائل العرب من كان يرتدى القناع على وجهه من الرجال ويعد (وضاح اليمن) من اشهر رجالات العرب الذين يمثلون ذلك. كما أن الجمال من المواضيع التي يتحاشى العربي امتداحها علانية أملم محدثه، وذلك بعكس الحال في الثقافة الغربية التي لا تمنع مثل ذلك السلوك، بل يعتبره بعضهم نوعاً من المجاملة للمحدث عندما يخبره انه وسيم الشكل أو أن أطفاله جميلو المظهر.

- أساليب الوقاية والعلاج من الحسد و العين في الثقافة العربية

تشارك وسائل الوقاية من الحسد مع وسائل الوقاية من العين في المجتمع العربي، إذ نجد أن معظم الثقافات العربية بمختلف بيئاتها البدوية، والحضرية والريفية، تبتدع بعض الأمور التي تؤمن بفاعليتها من الحماية والوقاية من العين والحسد معاً.

فعلى سبيل المثال عندما يشيد بعض الأشخاص بيتاً جديداً فإنه يضع عبارة ما شاء الله على مدخل المنزل لفترة من الزمن، أو يشيع بين الناس انه تحمل ديوناً كثيرة ليتمكن من تشييد البيت. وعندما يشتري سيارة جديدة فإنه يضع نسخة من المصحف الشريف على مقدمتها، ويعلق بعضهم آية الكرسي والمعوذات في منازلهم وغرف استقبالهم أو سياراتهم أو حتى مكاتبهم.

كما يلاحظ أن القرويين غالباً يعلقون بعض التعاويذ والتماائم على الأطفال والحيوانات خوفاً عليهم من الحسد والعين، بل إن الخوف من الحسد يجعل بعضهم يختار لأبنائه أسماء قبيحة حتى يصرف عنهم أعين الآخرين وحسدهم.

وقد يلجأ بعض الناس في بعض الثقافات العربية التقليدية إلى الاستعانة ببعض الطقوس لمنع الحسد ودرئه ففي المجتمع المصري مثلاً نجد البحور والملح يستخدمان كسلاح مضاد للعين والحسد فيخرون الأشخاص والأماكن، كما يرش الملح في بعض المناسبات لمنع الحسد، كما يستخدم بعضهم بعض الرموز التي تهدف إلى منع الحسد ودرئه كالكف المفتوحة مثلاً فيعلق البعض إشارة كف اليد على سيارته أو

باب منزله. بل أن المصطلح الشعبي المصري "يقول خمسة وخمسة" أما في الجزيرة العربية فيقولون "خمسة في عين العدو" وفي المغرب العربي يقال (خمسة على عينك).

وربما تكون الرابطة بين الكف ودرء الحسد تعزى إلى كون الكف أو اليد عموماً هي وسيلة الالتقاء من أي مكروه يلم بالإنسان، فاليد هي وسيلة الدفاع الأولى التي يستخدمها الإنسان للدفاع عن نفسه. ويعد البخور من أبرز الوسائل الشائعة في الثقافة العربية للوقاية من الحسد، وربما يكون ذلك ناتجاً من الاعتقاد بأن البخور يحجب أعين الآخرين من رؤية الأشياء رؤية صحيحة. فمثلاً من الطقوس الشعبية التي تمارس في بعض المجتمعات العربية لوقاية المولود من الحسد والعين أن تقوم الأسرة عند علمها بقدوم أحد الزائرين المباركين بالمولود بتبخير المنطقة التي يوجد بها الطفل وذلك بهدف طرد الشرور من المنزل، إضافة إلى أنهم يعتقدون أن من شروط إصابة العين وضوح الرؤية وصفائها لدى العائن، وعليه يكشف البخور حول الطفل حتى يحجب وضوح الرؤية عنه فلا يستطيع الشخص الزائر رؤية الطفل بوضوح من شدة دخان البخور حيث إن البخور يشكل طبقة حاجزة تحجب وضوح الرؤية، ويعتقدون أن ذلك يساعد في منع رؤية الطفل بوضوح مما يساعد على وقايته من العين. كما يعتمد بعض الناس إلى إشعال البخور أمام باب المنزل إذا حدث في المنزل ما تعتقد الأسرة أنه نتيجة العين. ويعد بخور (الجاوى) وهو نوع من البخور يحدث فرقة أثناء وضعه في النار من أكثر أنواع البخور المستخدمة لهذا الشأن في معظم المجتمعات العربية. وذلك للاعتقاد بأن البخور إذا أحدث صوتاً أثناء الاحتراق فإن مفعوله يكون أقوى في طرد العين. كما يعتمد بعضهم إلى ترك البخور حتى ينطفئ تماماً ومن ثم أخذ الجزء الصلب المحترق وإعطائه للشخص المصاب بالعين لكي يبول عليه اعتقاداً أن ذلك يبطل مفعول العين.

ويستخدم بعضهم في بعض الأقطار العربية بعض أجزاء من ملابس العائن، وخاصة إذا ما كان العائن معروفاً حيث يأخذون قطعة من ملابسه ويقومون بحرقها وجعل المصاب يستنشق دخانها.

أما الملح فهو الآخر يستخدم في الكثير من المجتمعات العربية لدى العامة لطرد الشرور وعيون الحاسدين إذ يعتمد بعضهم إلى رش الملح في المنزل وذلك للوقاية من العين في حين يعتمد بعضهم الآخر إلى وضع قطع الشبه وهي (نوع من المواد الكيماوية شبيه بقطعة السكر) في المباخر ويخير بها الشخص المريض الذي يعتقد أنه مصاب بالعين فإذا ما انفجرت قطعة الشبه وأحدثت صوتاً قيل أن الشر قد خرج وقد حصل المقصود في طرد العين.

كما يعد الملح من الطرق الشائعة في العديد من الثقافات حتى الأوروبية والأمريكية منها ففي بعض أجزاء أمريكا الشمالية يرش الملح والرز على العروسين أثناء زفافهما وذلك لوقايتهما وحمايتهما من العين.

وربما يكون استخدام الملح في الوقاية من الحسد نوع من الإيجاء والاشتقاق، فالمالح غالباً ما يستخدم في الثقافة العربية كمادة حافظة من التعفن، إذ يعتمد الناس في المجتمعات العربية إلى استخدام الملح في حفظ الأطعمة وخاصة اللحوم عند تجفيفها وكذلك في دبغ الجلود وغير ذلك . فخاصية الحفظ في الملح ربما هي التي أوحى باستخدامه كمادة حافظة من العين أيضاً. وربما يندرج ذلك أيضاً على الشبه التي يستخدمها الكثير في المجتمع العربي كمادة معالجة ومطهرة.

أما الاحجية والتعاويز فإنها ربما تكون من أكثر الخرافات والمعتقدات الشعبية في العديد من الثقافات العالمية وذلك لارتباطها بالسحر والشعوذة. إذ يعتمد بعض الناس في المجتمعات العربية إلى استخدام التعاويز والاحجية كوقاية من العين والحسد وذلك بتعليق بعض الاحجية أو التعاويز التي يحصلون عليها من عند الدجالين والمشعوذين والتي تحتوي على طلسم وتعاويز معينة. أو ربما تكون عبارة عن خلطات شعبية يقوم بخلطها بعض المشعوذين أو كبار السن في المجتمع. وقد كان دارجاً في بعض المجتمعات العربية وخاصة بعض أجزاء الجزيرة العربية استخدام (المنخقة) وهي عبارة عن قطعة من القماش محشوة ببعض المواد العشبية والعطرية تعلق على ربة الطفل منذ لحظة الولادة كنوع من الوقاية له من العين والحسد، في حين يعتقد بعضهم أنها وسيلة لصرف نظر الشخص إلى النظر إليها بدلاً من النظر الطفل ذاته.

وتظل تلك المنخقة تلازم الطفل حتى يكبر. وربما يكون ذلك امتداداً لما يعرف (بالطوق) في الثقافة العربية والذي كان يعرف في الثقافة العربية الجاهلية، إذ يعلق على الطفل طوق حول رقبته يلزمه حتى يكبر ويخلعه فيقال (شب عن الطوق) وفي بعض الأقطار العربية تقوم الأسرة بتعليق كف صغيرة مصنوعة من الذهب وفيها عين مصورة على شعر الطفل وذلك لوقايته من العين. وقد يلجأ إلى ذلك خاصة إذا كانت الأسرة ذاهبة إلى مناسبة ما أو كانت تنتظر قدوم بعض الزائرين.

كما يعدُّ القرآن من الأمور الرئيسة التي يلجأ بعض الناس إلى استخدامها في الثقافة العربية وخاصة من المسلمين للوقاية من العين والحسد بشكل مبالغ فيه . إذ يعتمدون إلى استخدام المصحف وتعليقه على السيارة الجديدة أو وضعه في مكان بارز في المنزل وفي غرف الجلوس، وذلك اعتقاداً أن ذلك يمنع عنهم العين وحسد الآخرين. ومنهم من يقوم بتعليق مصحف صغير في سيارته. كما يعتمد بعضهم إلى وضع المصحف في مقدمة السيارة لمنع العين. ويلجأ بعض الناس في العديد من الأقطار العربية إلى تعليق آيات قرآنية محددة مثل آية الكرسي والمعوذات وما شابه ذلك في صدور المنازل وغرف الاستقبال وذلك للوقاية من الحسد والعين. وقد انتشر مثل هذا الاعتقاد بين الكثير من عوام المسلمين حتى من غير العرب حيث

يلاحظ سعة انتشار مثل هذا النمط من السلوك في الكثير من الأقطار الإسلامية. مثل باكستان، وأفغانستان، وتركيا أو غيرها من الدول الإسلامية.

كما يستخدم بعضهم قراءة القرآن وسيلة للوقاية من العين وخاصة عند بناء أو تشييده منزل جديد إذ يقوم بعمل وليمة ودعوة للقراء للقراءة في المنزل قبل وبعد الأكل وذلك لطرد الشرور من المنزل ووقايته من أعين الحاسدين. كما يعمد بعض الناس في أنحاء الجزيرة العربية إلى صنع ما يسمونه (بقرص قرآن) حيث يقوم الشيخ بالقراءة على ماء ومن ثم عجن بعض الدقيق بذلك الماء وتصفيفه حتى يصبح صلباً ويعطى للمريض المصاب بالعين على شكل أجزاء صغيرة تذاب في الماء.

كما تعتمد بعض الأسر إلى كتابة اسم الله بالكحل على جبين الطفل وذلك لحمايته من العين. ويعمل مثل ذلك حين ترقب الأسرة قدوم مباركين بالمولود الجديد.

ومن الطرق الشائعة في بعض المجتمعات العربية لدرء العين والحسد استخدام الدم، فعند الانتهاء من تشييد منزل جديد على سبيل المثال، أو شراء أثاث جديد للمنزل تقوم الأسرة بذبح شاة أو ماعز أو ما شابه ذلك ثم يأخذون دم ذلك الحيوان ويضعون أيديهم فيه، ثم يقومون بطبع أيديهم بالدماء على باب المنزل أو جدرانه. كما يستخدم الدم للوقاية من العين في حفظ بعض الممتلكات الثمينة الأخرى كالسيارات على سبيل المثال، حيث يعمد بعضهم إلى ذبح شاة أو خروف أو ما شابه على ذلك على مقدمة السيارة الجديدة حيث يصعد بالذبيحة إلى أعلى السيارة ووضعها على مقدمة السيارة (فوق غطاء الماكينة ومن ثم ذبح الشاة وتلطيف السيارة بدمها). ويعتقد في ذلك أن ذلك الدم يحمي السيارة من العين كما يحميها من أن ترتكب حادثاً أو تسبب إراقة دماء الآخرين.

وربما تكون هذه الطريقة المرتبطة بالدم من الطرق التي انتشرت نتيجة الاعتقاد في بعض الطقوس والخرافات السحرية وأعمال الشعوذة المنتشرة في بعض أقطار الوطن العربي، إذ إن الدم يعد من الوسائل المستخدمة في مثل تلك الطقوس. إلا أنه من ناحية أخرى يلاحظ أن الكف تعد جزء من ذلك حيث أن الكف تلتطخ بالدم ومن ثم تطبع على جدران المنزل أو بابه. واستخدام الكف يعد في ذاته نوعاً من الإيحاء النفسي بالدفاع والقدرة على الصد كما أشير سابقاً.

ومن الوسائل الأخرى التي تستخدم في بعض المجتمعات العربية للوقاية من العين الحليب، إذ يعتمد بعض الناس إلى رش المنزل الجديد بالحليب وذلك لوقايته من أعين الحاسدين.

وكما يستخدم العض للوقاية من للعين بعض الدهانات الخاصة (الصفراء منها على وجه التحديد) فتعتمد بعض الأسر عند ولادة مولود لها إلى دهن كامل جسمه ببعض الدهانات الخاصة التي تظهر جسمه

اصفر اللون ليبدو وكأنه معلول البدن . مما يوحي للآخرين بأن المولود هزيل الجسم معلول البدن وبذلك يقونه شر أعين الحاسدين.

أما الحبة السوداء فنظراً لخاصيتها العلاجية فقد استخدمها البعض للوقاية من العين والحسد حيث يعتمد بعض الناس إلى صرها في قطعة من القماش ووضعها في بعض الأماكن المخفية من المنزل أو السيارة أو ما شابه ذلك وذلك لمنع العين والحسد عن تلك الممتلكات. كما يعتمد بعضهم إلى وضع صرة من الحبة السوداء تحت دواسة البترين في السيارة الجديدة لوقايتها من الحسد والعين. كما يقوم بعضهم بإضافة الحبة السوداء إلى ما يعلق على الطفل من احبة وذلك للاعتقاد بخاصيتها العلاجية والاعتقاد بأنها تدرأ العين.

وسائل العلاج من العين

أما إذا ما وقع القضاء واعتقدت الأسرة أن أحد أفرادها قد أصيب بالعين فإن الأمر يتجاوز مرحلة الوقاية إلى مرحلة العلاج والبحث عن الوسائل التي يرون أنها ربما تساعد في شفاء مريضهم، وذهاب العين عنه. ويتنشر في الثقافة العربية ثلاث وسائل رئيسة يستخدمها الناس في معظم الثقافات العربية لعلاج العين مع بعض الاختلافات البسيطة في طرق التنفيذ وتمثل هذه الطرق الثلاث فيما يلي:

النفث والغسل

يعد النفث من أكثر الوسائل المستخدمة للعلاج من العين في الثقافة العربية إلا أن الأساليب المستخدمة في ذلك تختلف باختلاف البيئة. ويرى بعضهم أن النفث لا يكون فعالاً إلا إذا كان برضى النافث أما إذا أجبر على ذلك، فإنهم يرون أنه لا يحقق الهدف. ويتم النفث إما بسؤال الشخص العائن بنفث لعابه مباشرة على المصاب بالعين إذا كان معروفاً ويتم ذلك غالباً في القرى حينما يكون الأشخاص المشهورون بالعين معروفين للجميع.

أما إذا كان العائن غير معروف فإنهم غالباً يلجأون إلى العديد من الطرق للحصول على نفث العائن أو لعابه فمن الطرق المستخدمة في بعض مناطق الجزيرة العربية أن يقوم الأهل عند شكهم بأن أحد أفراد الأسرة مصاب بالعين بأن يقف أحد أفراد الأسرة عند باب المسجد الذي يصلى به غالباً كافة أفراد القرية بعد الانتهاء من الصلاة حاملاً إناءً من الماء ويقوم المصلين عند خروجهم بالنفث في ذلك الإناء واحداً تلو الآخر ومن ثم يقوم الأهل بسقي المصاب ذلك الماء وغسله به. حيث إن العائن لا بد أن يكون أحد أولئك الأشخاص، كما تقوم إحدى النساء بعمل مثل ذلك حيث تقوم بالطواف على منازل القرية وتجعل النساء ينفثن في الإناء.

كما يعتمد بعض الناس إلى عمل وليمة كبيرة يدعون لها كافة الأشخاص في القرية ومن ثم يقوم بغسل أدوات الشرب وكاسات القهوة ومن ثم غسل المصاب وسقيه من ذلك. في حين يعتمد البعض إلى غسل سفرة الطعام التي أكل عليها المدعوون وغسل المصاب بذلك. ويعد مثل لذلك العمل محاولة للحصول على اثر لعاب العائن دون أن يسبب له حرجاً أو يوجه اتهاماً لشخص محدد. حيث إنه كما أشير سابقاً يعتقد أن العائن إذا أجبر على القيام بذلك، فإنه لا يحقق الهدف من الشفاء.

الأثر

يعد الأثر من أكثر الطرق المنتشرة في العديد من الثقافات العربية للتعامل مع العين . إلا أن الأثر غالباً ما يستخدم في حالة معرفة العائن، أو حصر الشكوك في شخص بعينه. فإذا ما تم ذلك تقوم الأسرة إلى محاولة اخذ بعض اثر العائن كأن تأخذ بعض التراب من الأرض التي وطأها (اثر الأقدام) أو كنس عتبة باب منزله واخذ تراها او ماشابه ذلك. ومن الاعتقادات السائدة في هذا الشأن ضرورة السرية وعدم معرفة العائن بالأمر وإلا فسد مفعول الطريقة. ومن بعد الحصول على الأثر تعتمد الأسرة إلى وضع التراب في ماء وغسل المصاب به.

الرقية والذهاب إلى المشايخ أو المشعوذين

أما الوسيلة الأخيرة التي يستخدمها بعض الناس في المجتمعات العربية، والتي تعد من الطرق الأكثر انتشاراً في الوقت الحاضر وخاصة في المجتمعات الحضرية، فهي الذهاب إلى المشايخ، والعلماء للقراءة على الشخص الذي يعتقد انه مصاب بالعين، سواء بطريق مباشر، أو القراءة على ماء ومن ثم استخدام ذلك الماء من قبل المصاب.

وقد انتشر في الآونة الأخيرة الخلط بين الرقية الشرعية، والكثير من الخرافات والشعوذة، وقد أصبح الكثير من الدجالين يمتحنون مثل ذلك العمل للترزق، في حين يظهرون للعامة صلاحهم وتقواهم والتزامهم الديني. مما يجعل الكثير من العوام يفضل الذهاب إليهم بدلاً من الذهاب إلى المستشفى لتلقى العلاج. كما أن مثل هؤلاء الدجالين غالباً ما يقنعون الآخرين ممن يترددون عليهم انهم مسحورون، أو مصابون بالعين مما يجعلهم يبقون تحت سيطرتهم ولا يبحثون عن علاج لمرضهم الذي ربما قد يكون مرضاً عضوياً أو نفسياً حتى تتفاقم الحالة وتصبح في وضع متأخر للعلاج. وربما تعد هذه الطريقة من أكثر الطرق خطورة في الوقت الحاضر وأكثرها تأثيراً في حياة الناس الاجتماعية.

وعند استعراض الوسائل السابقة وتحليلها يلاحظ أن معظمها لها خاصية معينة سواء في الاستطباب أو في الوقاية، مما جعل العرب يوسعون تلك الخاصية العلاجية إلى خاصية وقائية من العين. فالحبة السوداء

على سبيل المثال تعد من الأعشاب الطبية ذات الخاصية الوقائية في رفع مناعة الجسم ضد الأمراض والوقاية من الكثير الأمراض. كما أن العلاج بالقرآن والرقية ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم نفعها لبعض الأمور. أما الغسل فإنه من الأمور التي ثبت أيضاً أنها علاج شاف للعين. كذلك الملح له خاصية الحفظ. وبالتعمق في معظم الوسائل المستخدمة للعلاج أو الوقاية من العين في المجتمع العربي، نجد ذات ارتباطات معينة تنبأ عن التداخل الكبير والعميق بين الكثير من المعتقدات الشعبية التي لا يفصل بعضها عن بعض والتي تؤثر في بعضها البعض بشكل يصعب إيجاد تبريرات محددة لأي منها مفرداً عن الآخر حيث أنها جزء من المنظومة الثقافية الكبرى للمجتمع التي يصعب تجزئتها.

التأثيرات الاجتماعية للحسد والعين في الحياة الاجتماعية في المجتمع العربي

أما في الجزء الأخير من هذه الدراسة فتم تناول الخوف من الحسد والعين في المجتمع العربي وتأثيرهما على الحياة العامة في المجتمع العربي. فالحسد والعين من الأمور التي يخشاها العربي كثيراً ولذا يلجأ البعض إلى أسلوب التكتم على أعمالهم وممتلكاتهم خوفاً من حسد الآخرين.

ويؤثر الخوف من الحسد والعين في الثقافة العربية في العديد من التعاملات اليومية، كما يؤثر في العديد من القرارات الشخصية أو سلوك الأفراد، حيث أن البعض ربما يتظاهر بالفقر، أو العي، أو الغباء، خوفاً على نفسه أو ممتلكاته من حسد الآخرين. ويعد الحسد في الثقافة العربية أيضاً وسيلة لتبرير الكثير من الإخفاقات في الحياة اليومية فعندما يفشل شخص ما في عمل ما فإنه غالباً ما يرجع ذلك إلى حسد الآخرين أو عين أصابته. وإذا لم يفكر هو في ذلك قد يوعز إليه البعض بذلك. ويقنعونه أن ذلك ما كلن إلا نتيجة لعين أصابته، أو حسد ألم به ممن حوله.

ولذا يتضح أن الخوف من الحسد أو الاعتقاد به ربما يكون أحد العوامل المعوقة في الثقافة العربية. فعدم الاعتراف بالأخطاء ومحاولة إصلاحها بل ادعاء الكمال وتبرير الفشل بتبريرات غيبية تعود إلى حسد الآخرين مما يعد عاملاً معوقاً للتقدم في الكثير من المجالات.

كما أن الحسد يعد عاملاً قوياً للعزلة الاجتماعية وسبباً في التنافر الاجتماعي، فالخوف من حسد الآخرين، وعينهم قد يدفع بعض الأشخاص إلى التوقع على الذات وتجنب الآخرين، وفرض عزلة قوية على ذاتهم وأبنائهم. فيعيشون حياتهم متوجسين مترقبين يحاسبون الناس على عباراتهم ونظراتهم. ويظهر ذلك جلياً في الكثير من المجتمعات القروية في الوطن العربي.

وكما يلعب الحسد في الثقافة العربية دوراً في التباعد الاجتماعي والعزلة، فإنه يلعب دوراً آخر في تقنين عملية الاتصال بالآخرين وطريقة التحدث إليهم والتعليق على تصرفاتهم أو ممتلكاتهم. فالعربي يعرف

معنى الحسد ويؤمن به إيماناً قوياً، لذا نجد العربي المسلم غالباً ما يقرن عبارات الوصف والمدح والإطراء للآخرين بعبارته "ما شاء الله" وإذا لم يتلفظ بما فإن الطرف الآخر يطلب منه فوراً أن يقولها، ولو تعرض الطرف الآخر لأي عارض بعد ذلك فإنه حتماً سيعزو أسبابه إلى حسد ذلك الشخص الذي تحدث معه، وقد يتعدى ذلك في بعض الأقطار العربية إلى أن يقول الشخص الذي يُمدح "امسك الخشب" كما في المجتمع المصري أو قل ما شاء الله، أو قل لا اله إلا الله كما في الجزيرة العربية. وتعد عبارة (امسك الخشب) من العبارات المتداولة في الكثير من المجتمعات حتى الغربية منها حيث يستخدم في اللغة الإنجليزية عبارة (Knack on the wood) وهي تعطي المعنى ذاته للعبارة العربية. (امسك الخشب، أو دق على الخشب) وربما قد يمكن تفسير ذلك بانتقال الكثير من المصطلحات الثقافية العربية إلى أوروبا وأمريكا. وعند التمعن في المغزى الاجتماعي للعبارة وارتباطها بالحسد فإنه يمكن القول انه نظراً للخاصية العازلة للخشب وقدرته على امتصاص الكهرباء كمادة عازلة للكهرباء. قد جعل بعض الناس يستخدم مثل هذا التعبير نوعاً من الوقاية لعزل العين وعدم إصابتها للشخص أو انتقالها إليه. وإذا ما تبيننا هذا التفسير الافتراضي، فإنه يمكن القول أيضاً أن هذه العبارة من العبارات المستحدثة في الثقافة العربية والتي استحدثت بعد اكتشاف وانتشار الكهرباء.

ومن هنا يتضح أن الخوف من الحسد والعين أحد العوامل الهامة في الثقافة العربية التي تساعد على جعل الإنسان العربي متحفظاً إلى حد كبير. فالشخص غالباً ما يلقي اهتماماً لكلامه وتصرفاته مع الآخرين، مما يساعد على الضبط الداخلي للفرد العربي، فلا يطلق العنان لنفسه بوصف أشياء الآخرين وملاحظتها أو التحدث عنها. ولعل مثل هذا التحفظ الشديد في حياة العربي في أقواله وتصرفاته قد أوجد لدى العربي نوعاً من الكبت الداخلي فحياة العربي غالباً يشوبها الحزن والخوف والتوجس. فهو إذا فرح أو ضحك يستغرب على نفسه ذلك ويقول "اللهم اجعله خيراً" إشارة إلى أن فرحه وضحكه ربما يعقبها كدر وحزن، ولذا فنادر أن يتباهى العربي بإظهار الفرح والسرور حتى في أفراحه خوفاً من الحسد.

كما أن الحسد يعد أحد العوامل الهامة في جلب التعاسة للشخص، فالحسد غالباً شخص لا يقع بما أعطاه الله بل يقارن نفسه بالآخرين ممن هم أكثر منه حظاً في بعض النواحي مما يجعله ساخطاً على وضعه غير راض بما كتبه الله له. مثل هذا الشعور يؤدي إلى عدم الترابط بين الناس، وإلى انفصال الناس عن بعضهم البعض.

كما يقترن بالإحباط والحزن، فعندما يشعر الشخص أنه لا يستطيع أن يحقق بعض الإنجازات، فإنه يشعر بالحسد من الآخرين الذين استطاعوا ذلك، ويرى أن ذلك يسبب الحزن والإحباط معاً في بعض الأحيان مما يجعل الشخص يستسلم لذلك ولا يحاول المنافسة أو السعي إلى النجاح.

وإضافة إلى ذلك فإن الاعتقاد بالعين قد يكون أحد المعوقات الهامة في الثقافة العربية التي تعيق بعض الناس عن تشخيص الأمراض الحقيقية التي يعانون منها حيث أن من يؤمنون بشدة بالعين قد يعززون أي عارض مرضي إلى العين، وبالتالي لا يسعون إلى البحث عن التشخيص الطبي الدقيق للمرض الذي يعانون منه أو يعانين منه أفراد أسرهم.

وقد بدأ بعض الاهتمام بدراسة هذه المشكلة في المجال الطبي في الوقت الحاضر في العالم العربي وخاصة بعد ظهور علم النفس الطبي. حيث أوضحت بعض الدراسات التي طبقت في بعض المجتمعات العربية أن هذه المشكلة تعد أحد أبرز المعوقات الاجتماعية الطبية في مجتمعات الدراسة التي تحد من قبول الناس بالطرق الحديثة في العلاج. فقد أشارت دراسة الصبي (Al-subaie, 1994)) والتي طبقت على بعض المريضات في المجتمع السعودي أن نسبة كبيرة من المريضات يعزرن أسباب مرضهن إلى العين. وبالتالي لا يملن إلى التداوي بالطرق الطبية الحديثة مفضلات التداوي بالطرق التقليدية. كما أشار الصغير (Alsughayir, 1996) إلى أن نسبة كبيرة من الذكور والإناث ممن شملتهم عينة دراسته التي طبقت على المجتمع السعودي يعزرون أسباب مرضهم إلى العين. كما أشار إلى ذلك لويس في دراسته عن المجتمع التونسي (Lewis, 1987).

كما أن الخوف من العين قد يكون أحد الأسباب الرئيسة في التنافر الاجتماعي في العديد من المجتمعات التقليدية القروية، حيث يعيش الأشخاص الذين يصنفهم المجتمع على أنهم عائنون شبه عزلة اجتماعية من المجتمع المحيط بهم حيث يتجنبهم الناس ويخشونهم. بل إنه في بعض المجتمعات كما في مجتمع امهرا الإثيوبي يجبر الأهالي مثل هؤلاء الأشخاص على السكنى بعيدا عن منازل القرية. وليس بالضرورة في المجتمع العربي أن تثبت الدلائل والبراهين بالحوادث كون الشخص عائنا، بل إن الإشاعة تلعب دوراً كبيراً في ذلك، فعندما يشاع عن شخص ما أنه (عائن) فإن المجتمع يصدق ذلك على الفور ويتعامل مع ذلك الشخص بالحذر والريبة. كما أن جميع أقواله وتصرفاته تفسر من قبيل ذلك، وأي أعراض تصيب من يقابلهم أو يتحدث معهم تفسر على أنها نتيجة لحديثه عنهم أو زيارته لهم. وعليه فإن الناس غالباً لا يظهرون لذلك الشخص ممتلكاتهم أو ما يخشون عليه. وترخر الدراسات الانثروبولوجية، والأعمال الروائية القصصية بمئات القصص التي توضح مثل ذلك السلوك الشائع بين القرويين. ويلجأ الناس عادة في مثل تلك المجتمعات إلى تحبئة ما يخشون عليه من ذلك الزائر غير المرغوب فيه حتى يغادر منزلهم.

وتتضح المشكلة الاجتماعية في مثل هذا السلوك إلى اتساع دائرة الأشخاص المشتبه فيهم في المجتمع، مما يجعل الناس في مثل تلك المجتمعات يعيشون في خوف وحذر وعدم شعور بالراحة والاطمئنان على المثل

والذات والممتلكات. كما يعيشون في شك وريبة مما يجعل بعضهم يتوقع على الذات، في حين تدفع بعضهم إلى السعى عن أساليب الوقاية من الحسد والعين لدى الدجالين والمشعوذين أو ممارسة بعض الطقوس والأساليب التقليدية الشائعة في مجتمعهم. مما يرسخ الإيمان بالخرافات وينشط عمل الدجالين والمشعوذين في تلك المجتمعات لابتزاز الأموال والسيطرة على عقول وسلوك الناس في تلك المجتمعات وتسخيرهم لقضاء مآربهم الخاصة وتنفيذ تعليماتهم. كما قد يساهم مثل أولئك الدجالون والمشعوذون على نشر الإشاعات عن أشخاص بعينهم أو على نشر بعض الإشاعات التي تؤكد قوة فعالية بعض الأشخاص في الإصابة بالعين مما يجعل الناس يصدقونهم وبالتالي يتحاشون مثل أولئك الأشخاص. وكلمة ازداد الخوف من العين والحسد في المجتمع كلما زاد توجه الناس إلى الاعتقاد بالأساليب البدائية في العلاج والإيمان بالخرافات والشعوذة.

كما أن المشكلة الاجتماعية الأخرى الأكثر إلحاحاً في العالم العربي في الوقت الحاضر هي أن ظاهرة الخوف من العين والحسد لم تضمحل في المدن العربية والتي يفترض ان ساكنيها أكثر تحضرًا وأكثر أخذًا بالأساليب الحديثة. بل العكس من ذلك فالكثير من المعتقدات الشعبية بما فيها العين والحسد انتشرت وبشكل واسع في المجتمعات الحضرية الحديثة في العديد من المدن العربية، والتي ليست في واقع الأمر إلا عبارة عن قرى كبرى حيث أن معظم المدن العربية الكبرى يتكون معظم سكانها من المهاجرين القرويين الذين يستوطنون تلك المدن ناقلين معهم الكثير من عاداتهم وثقافتهم الأصلية. كما أن البعض منهم يعيشون في مجتمعات قروية شبه مغلقة بل أن هناك العديد من الأحياء في بعض المدن العربية تكون في الغالب قصراً على أبناء منطقة أو قرية واحدة. مما يجعل مثل هذه المشكلة تزداد اتساعاً والأيمان بما يمثل مشكلة اجتماعية كبرى تهدد الأمن الاجتماعي العربي وتساهم في خلق العديد من المشكلات الجانبية الأخرى الاجتماعية منها والصحية والتي سبق الإشارة إلى بعض منها. مما يساعد على انتشار الأمراض والإيمان بالخرافات والدجل والشعوذة لا في المناطق القروية فحسب بل في المناطق الحضرية أيضاً.

المصادر

- ساميه حسن الساعاتي (١٩٨٣) "السحر والمجتمع _دراسة نظرية وبحث ميداني" دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت. الطبعة الثانية.

Ann and Barry Ulanov,(1983). **Cinderella and Her Sisters, the Envied and the Envyng**.The wesMunster Press Philadelphia

Al-Subaie ,Abdullah ,(1994).**Traditional healing experiences in patients attending a university outpatient clinic**. Arab Journal of Psychiatry ,Vol 5 (2) 83-91

Alsughyir,Mohammad -A,(1996) .**Public view of the "evil eye" and its role in psychiatry: A study in Saudi society**. Arab Journal of psychiatry. Vol 7(2) 152-160.

Amitav, Ghosh (1983) **The Realtions of Envy in an Egyptian Village**. Ethnology.Vol 12(3) 211-223.

Anthony H .Galt,(1983) **The Evil Eye as Synthetic Image and its Meanings on the Island of pantelleria, Italy**. American Ethnologist , Vol 9 (4).664-681.

Cohen-Charash, (2000) **Envy at work: An exploratory examination of antecedents and outcomes**. Ph.D Dissertation, University of California, Berkeley. USA.

Di Tota, Mia.(1983) . **Magic-Superstition or Realit. The Concept of the Evil Eye in Southern Italy**. Tidsskrift for samfunnsforskning, vlo 23, (4), 323-342.

Harold, N .Boris .(1994) . **Envy** . Jason Aronsons Inc, London.

Helmut Schoech,(1966) **Envy: A Theory of Social Behaviour**..Western Printing Services Limited, Bristol.

Madianos, Michael (1999) .**The diachronic beliefs in the evil eye in Athens: Some quantitative evidence**. The European Journal of Psychiatry. Jul-Sep; Vol 13(3): 176-182

Reminick, Ronald A. (1974)**The Evil Eye Belief Among the Amhara of Ethiopia** .Ethnology Vol 13, (3) Jul, 279-291.

Siebers, Tobin Anthony(1981). **The Evil Eye: Literature And Superstition**. Ph.D Dissertation, The Johns Hopkins University.

Stein, Howard, (1979) . **Envy and the Evil Eye among Slovak-Americans: An Essay in the Psychological Ontogeny of Belief and Ritual**. Ethos Vol 2,(1), Spr, 15-46.